هل تواصل أنقرة السير إلى منبج؟

عملية عفرين تختصر عمق الخلافات التركية - الأميركية

بقلم: عمر كوش

تواصل تركيا عمليتها العسكرية في عفرين ضد مقاتلي حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي في سورية (PKK)، الذي تعتبره الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني التركي (PYD)، وسط خلافات وتجاذبات على المستوى الداخلي وعلى المستويين الإقليمي والدولي. وتطمح أنقرة إلى توسيع عملياتها العسكرية بدعم من بعض فصائل الجيش السوري الحر لتصل إلى مدينة منبج وما بعدها.

على مستوى الداخل التركي، تحظى العمليات بدعم قطاعات شعبية واسعة، خصوصاً في أوساط حزب العدالة والتنمية الحاكم وحزب الحركة القومية الذي يعتبر «وحدات حماية الشعب» الكردية (YPG) خطراً يتهدد أمن البلاد، وأنها مجرد ميليشيات تستخدمها الولايات المتحدة الأميركية. وقام أنصار الحزبين بفاعليات ونشاطات داعمة للجيش في مختلف المدن التركية. كما تحظى العملية التركية بدعم أحزاب أخرى مثل الحزب الجيد أو حزب الخير (İyi Party)، الذي أسسته حديثاً شخصيات سياسية منشقة عن حزب الحركة القومية، ويمتلك خمسة مقاعد في البرلمان. ويدعمها كذلك حزب السعادة الإسلامي، وحزب الوطن الذي يصنف قومياً يسارياً متشدداً، في حين أن أوساط حزب الشعب الجمهوري المعارض تقف عموماً إلى جانب العملية وتعتبر «لجوء الدولة إلى عملية غصن الزيتون ضرورة حتمية»، وفق ما قال كمال كيليتشدار أوغلو زعيم الحزب، إلا أن سيزغين تانري كولو أحد نواب رئيس هذا الحزب لم يخفِ معارضته العملية.

وفي مقابل الدعم الواسع للعملية في عفرين، يقف ضدها حزب الشعوب الديمقراطي، ثالث الأحزاب التركية الممثلة في البرلمان، الذي اعتبرها «محاولة غزو»، وتشاطره الرأي بقية الأحزاب اليسارية التركية الصغيرة، التي تعلن موقفاً أخلاقياً مناهضاً للحرب، فضلاً عن اعتبارها أن عملية عفرين ستلحق ضرراً بجهود حل المسألة الكردية في تركيا. وهو موقف عبر عنه أيضاً بيان وقع عليه ١٧٠ مثقفاً وسياسياً وفناناً تركياً.

وتحرص أنقرة على التأكيد أن عمليتها العسكرية في منطقة عفرين لا تستهدف الأكراد في سورية، بل عناصر حزبي العمال الكردستاني والاتحاد الديموقراطي والميليشيات التابعة لهما، وتحاول قدر المستطاع الحدّ من استفزازهم، وتقديم تبريرات لعمليتها، لذلك اعتبر الناطق باسم الرئاسة التركية إبراهيم كالن أن «تحرُّكات تركيا تهدف إلى حماية أمنها القومي، وليست موجهَّة بالتأكيد ضد الأكراد السوريين».

أما في المستوى الإقليمي والدولي، فإن عملية «غصن الزيتون» التي بدأت في ٢٠ كانون الثاني الماضي، ما زالت تثير مواقف متباينة، حيث تمّت بالتفاهم بين الساسة الأتراك ونظرائهم الروس، مع صمت من ساسة نظام الملالي الإيراني، يكاد يخفي معارضتهم إياها. لكن الأهم هو أن العملية اقترنت بتصاعد الخلاف التركي - الأميركي، الذي استدعى إرسال الإدارة الأميركية إلى أنقرة كلاً من مستشار الأمن القومي هربرت ماكماستر ووزير الخارجية ريكس تيلرسون للتخفيف من حدة الخلافات ومحاولة إعادة الثقة بين الحليفين الأطلسيين، خصوصاً أن واشنطن تشعر بأن الروس أرادوا من عملية عفرين توريط الأتراك في عملية قد تصبح متدحرجة لتطاول النفوذ الأميركي في سورية، إذا ما وصلت إلى مناطق نفوذهم في منبج، لذلك يحاول المسؤولون الأميركيون طمأنة نظرائهم الأتراك حول مخاوفهم الأمنية، وبدؤوا يتحدثون عن المنطقة الآمنة بعمق ٣٠ كيلومتراً داخل سورية، التي طالما طالبت أنقرة بإنشائها على حدودها الجنوبية مع سورية.

تركيا تتورط في المستنقع السوري.

مختصر خلافات

وتختصر العملية العسكرية التركية في عفرين عمق الخلافات بين الساسة الأتراك والأميركيين، إذ يصر الأتراك على أن قواتهم وفصائل الجيش السوري الحر ستتوجه إلى منبج بعد السيطرة على عفرين، الأمر الذي تعارضه إدارة الرئيس دونالد ترامب، وتطالب أنقرة بأن تكون عمليتها محدودة في الزمان والمكان، لكن رد الساسة الأتراك برفض هذا التحديد برمته، بالتالي فإن خطر الصدام بين القوات التركية والقوات الأميركية في منبج يبدو قائماً كاحتمال في ظل المعطيات الحالية، ونستبعد دخول الإدارة الأميركية في صدام عسكري مع تركيا سواء داخل سورية أم خارجها، لذلك تلجأ حيناً إلى تدوير الخلاف معها وأحياناً تحاول إرضاءها، وفي الوقت ذاته لن تتخلى الولايات المتحدة في مطلق الأحوال عن سياسة دعم ميليشيات وحدات الحماية الكردية عسكرياً في سورية، وذلك لتثبيت نفوذها القائم هناك.

وتشير الخلافات والتجاذبات، التي رافقت عملية عفرين، بين الولايات المتحدة الأميركية وروسيا وإيران وتركيا، إلى أن الصراع في سورية تحول إلى مرحلة جديدة، يحاول كل طرف استكمال وتثبيت نفوذه فيها، إذ تسعى الولايات المتحدة إلى تثبيت نفوذها بعد إعلان استراتيجيتها الجديدة، الهادفة إلى إنشاء ما يشبه دويلة أو كياناً انفصالياً في منطقة الجزيرة السورية، عبر إعلانها العمل على تشكيل جيش مؤلف من ٣٠ ألف مقاتل، قوامه الأساسي عناصر ميليشيات «وحدات الحماية الكردية»، مهمته الانتشار على طول الحدود مع تركيا والعراق وعلى الضفة الشرقية لنهر الفرات، إلى جانب تأمينها ودعمها قاعدة «التنف» في الجنوب الشرقي من سورية، التي تضاف إلى عدد من القواعد والمطارات العسكرية في شمالها. بينما تحاول روسيا تأمين سيطرتها على منطقة الساحل السوري، بدءاً من اللاذقية وصولاً إلى مدينتي حمص ودمشق، بعد أن أقامت قواعد عسكرية بحرية وبرية ومطارات، وثبتت وجودها العسكري باتفاقية مديدة ومذلة مع النظام السوري، تقرّ بتحول القوات العسكرية الروسية إلى قوة احتلال شبه دائم.

أما طهران فلم تستطع إخفاء تحفظها على العملية التركية، رغم أنها ضمنت الطريق الممتد من طهران إلى بيروت مروراً ببغداد ودمشق، وثبتت نفوذها في البوكمال في البادية السورية وفي المنطقة الممتدة من دمشق إلى بيروت، حيث تنشر أكثر من ٧٠ ألفاً من ميليشيات «حزب الله» اللبناني والميليشيات العراقية والأفغانية الموالية لها، فضلاً عن قواعد ومصانع أسلحة، وضباط ومقاتلين من الحرس الثوري الإيراني. والأهم هو أن ساسة نظام الملالي الإيراني لا يريدون أن تطلق يد تركيا في شمال سورية، تخوفاً من تأثير الدور التركي في مشروعهم التوسعي في سورية والمنطقة العربية، إضافة إلى سعيهم لأن يكونوا أصحاب اليد الطليقة في الوضع السوري بالتعاون والتنسيق مع روسيا.

ولعل التحفظات الإيرانية على العملية التركية ظهرت إلى العلن، من خلال دعوة الخارجية الإيرانية إلى وقف العملية التركية، وترافقت بتصعيد ميداني عبر الهجوم الكبير الذي تقوده الميليشيات التابعة لها مع قوات النظام السوري في ريفي حلب وإدلب، وسماح النظام السوري لمجموعات من ميليشيات الحماية الكردية بالعبور نحو عفرين. وبات موقف ساسة نظام الملالي أقرب إلى موقف النظام السوري، سواء على المستوى الإعلامي الداعم لحزب الاتحاد الديمقراطي أم على المستويين الديبلوماسي والعسكري، ووصل الأمر إلى توجيه الميليشيات التابعة لهم ضربات عسكرية لنقاط مراقبة خفض التصعيد التركية التي أنشئت في محافظة إدلب، ونشر نظام الأسد وحدات دفاع جوي وصواريخ مضادة للطائرات في الخطوط الأمامية في ريفي حلب وإدلب.

وتريد تركيا من عملية «غصن الزيتون» أن تستكمل ما بدأته في عملية «درع الفرات» التي توقفت عند أبواب منبج، حيث بقيت تركيا الطرف الإقليمي الذي لم يرضَ بما حصل عليه في صراع تقاسم النفوذ على سورية، إذ اكتفت مرغمة بمنطقة محدودة، تمتد من مدينة جرابلس إلى بلدة الراعي وصولاً إلى مدينة الباب، مع أنها تشعر بأنها أكثر الدول المعنية بالملف السوري، إذ منعها كل من الأميركيين والروس من التقدم باتجاه منبج عندما أطلقت عملية «درع الفرات» في ٢٤ آب ٢٠١٦. وأرغم ذلك المنع الساسة الأتراك على تغيير وجهتهم الغربية باتجاه التفاهم والتنسيق مع الروس والإيرانيين حيال الوضع في سورية.

وامتدت تفاعلات العملية العسكرية في عفرين إلى ظهور خلافات بين كل من روسيا وتركيا وإيران، الدول الضامنة والراعية لاتفاقات مناطق خفض التصعيد في سورية، في الوقت الذي نشهد تصعيداً من روسيا وإيران لعمليات النظام السوري في محافظة إدلب وغوطة دمشق الشرقية، واستدعت هذه الخلافات الدعوة إلى قمة ثلاثية أخرى بين بوتين وأردوغان وروحاني في إسطنبول لترتيب الأوضاع وتسوية التفاهمات والتباينات من جديد.

وبصرف النظر عن حجم الخلافات الإقليمية والدولية حول العملية العسكرية التركية في عفرين، فالمتضرر الوحيد من ذلك كله هم المدنيون السوريون، عرباً وأكراداً وتركماناً وسواهم، الذين دفعوا ثمناً غالياً خلال السنوات السبع الماضية، ولكن، في الصراع الدولي القائم على ما تبقى من سورية، لا يؤخذ الدم السوري بالحسبان بتاتاً. ويبقى أن السيناريو الأفضل هو التفاهم بين الولايات المتحدة وتركيا وروسيا حول ترتيب انسحاب مقاتلي ميليشيات الوحدات الكردية وسواهم من عفرين، وهو أمر لا يبدو سهلاً، لأن المنتسبين إلى حزبي العمال الكردستاني والاتحاد الديمقراطي يسيطرون على هذه المدينة منذ سنوات، وان القاطنين فيها أشبه برهائن.

عن "الحياة" اللندنية

---

* كاتب سوري مقيم في تركيا.

إسرائيل تنخرط مباشرة في الحرب السورية

بقلم: آدم تايلور*

لم تشهد الحرب السورية أي عوَز في التحولات الكبيرة مُسبقاً هذا العام، لكنها شهدت في نهاية الأسبوع الماضي أكثر هذه التحولات احتمالاً للتسبب في عواقب. فيوم السبت الماضي، أعلن الجيش الإسرائيلي أنه نفذ "هجوماً جوياً واسع النطاق" داخل سورية بعد اشتباكات متبادلة تم فيها إسقاط طائرة مسيَّرة إيرانية في الأراضي الإسرائيلية، بينما أسقطت نيران الدفاعات الجوية السورية طائرة حربية إسرائيلية من طراز "ف-١٦".

على الرغم من قربها الدائم، وقفت إسرائيل إلى حد كبير على هوامش الصراع السوري على مدى السنوات السبع الماضية. ومع ذلك، تشير ضربات يوم السبت، إلى أن المطاف ربما ينتهي بها أخيراً وقد امتصها على ما يبدو صراع يزداد فوضى باطراد بعد إلحاق الهزيمة العسكرية بتنظيم "داعش". وإذا لم تصبح إسرائيل أكثر انخراطاً في القتال الجاري في الجوار، فإنها قد تعاني من تبعات خطيرة للحرب في سورية - وكذلك المنطقة ككل.

ما الذي كان عليه انخراط إسرائيل في الحرب السورية حتى الآن؟

تتقاسم إسرائيل حدوداً متوترة مع سورية - مرتفعات الجولان - وكانت لها منذ وقت طويل علاقات عدائية علنية، ليس مع حكومة بشار الأسد فحسب، وإنما مع حلفاء سورية أيضاً، إيران وميليشيا "حزب الله" اللبنانية. ومع ذلك، كان لدى إسرائيل القليل من الأسباب أيضاً لدعم "داعش" أو المجموعات الإسلامية المتحالفة مع تنظيم القاعدة، والتي أصبحت الخصوم الرئيسية للحكومة السورية.

لكن إسرائيل شنت عشرات الغارات الجوية السرية ضد قوافل أسلحة لـ"حزب الله" في سورية. ولم يكن يتم الإعلان علناً عن هذه التدخلات بشكل عام، وكانت صغيرة الحجم أيضاً. وعادة ما امتنعت القوات الحكومة السورية وحلفاؤها عموماً عن الرد، خوفاً من فتح جبهة أخرى في صراع لا تنقصه الفوضى مسبقاً.

لكن الأمور بدأت بالتغير خلال العام الماضي، بينما خسر "داعش" الأرض واستعادت قوات الأسد وحلفاؤها السيطرة على مجريات الصراع.

في العام الماضي، دفعت إسرائيل ضد وقف النار الذي توسطت فيه الولايات المتحدة وروسيا، وقالت إنه سمح بالتوسع الإيراني بالقرب من حدودها. وخشي الكثيرون في إسرائيل ألا يقتصر الأمر على توطيد إيران وحلفائها وجودهم بالقرب من الحدود الإسرائيلية، وإنما "حزب الله" يستخدم القتال السوري كوسيلة لتدريب كوادره، وأن إيران ربما تساعد الميليشيا في الارتقاء إلى استخدام الصواريخ الموجهة بدقة.

وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، خلال زيارة إلى واشنطن في كانون الأول: "لن نسمح لذلك النظام بأن يرسخ نفسه عسكرياً في سورية، كما يريد أن يفعل، لتحقيق هدف واضح هو القضاء على دولتنا".

لماذا كان ما حدث يوم السبت، مختلفا عن الغارات الإسرائيلية السابقة؟

نفذت إسرائيل عدداً من الهجمات المهمة في سورية في الأشهر الأخيرة، لكن حادثة يوم السبت كانت مختلفة. وتقول إسرائيل إن فصلاً جديداً قد بدأ مع عبور طائرة مسيَّرة إيرانية إلى أراضيها من سورية في الساعات المبكرة من صباح السبت. ونشر الجيش الإسرائيلي في وقت لاحق لقطات قال إنها تظهر الطائرة المسيَّرة بينما يجري إسقاطها بواسطة مروحية هجومية.

لكن إيران نفت ذلك، ووصف المتحدث باسم وزارة خارجيتها، بهران قاسمي، الادعاء الإسرائيلي بأنه "سخيف". ومع ذلك، وإذا كان الادعاء صحيحاً، فإنه يؤشر على استفزاز كبير من جانب طهران، بل وربما يكون محاولة إلى إلقاء طعم لإسرائيل بهدف استدراجها للرد.

وسرعان ما أرسلت إسرائيل طائراتها المقاتلة إلى سورية لمهاجمة قاعدة "تي-٤" العسكرية بالقرب من مدينة تدمر السورية، التي يَفترض أن الطائرة المسيَّرة أُطلقت منها. وردت القوات السورية بدورها بما وصفه الجيش الإسرائيلي بأنه "نيران سورية هائلة من مضادات الطائرات"، وهو ما يبدو أنه تسبب بتحطم مقاتلة إسرائيلية بعد أن تمكن طاقمها المكون من طيارَين من القفز بالمظلات.

وتم نقل الطيارَين إلى المستشفى؛ وقيل إن حالة أحدهما خطيرة. وكتب الصحافي العسكري الإسرائيلي، عاموس هرئيل، السبت الماضي: "هذه هي الحادثة الأولى من نوعها منذ ٣٠ عاماً"، مضيفاً أن رغبة سورية في الرد على الضربات الجوية الإسرائيلية أظهرت "إحساس النظام الجديد باستعادة القوة".

وفي تصريح له، قال "حزب الله" إن إسقاط طائرة الـ"ف-١٦" الإسرائيلية يؤذن ببدء "مرحلة استراتيجية جديدة" في الصراع. وأضاف الحزب في بيانه: "التطورات التي حدثت اليوم تعني أن المعادلات القديمة تغيرت جذرياً".

وبعد إسقاط المقاتلة، ضرب الجيش الإسرائيلي مرة أخرى، مستهدفاً ١٢ موقعاً عسكرياً في سورية - ثمانية منها سورية وأربعة إيرانية، كما قال - فيما شكل الضربات الجوية الإسرائيلية الأعنف في سورية في عقود. وقال الجنرال تومر بار، القائد الثاني لسلاح الجو الإسرائيلي، لصحيفة "هآرتس" إن هذه الضربات شكلت "الهجوم الأكبر والأكثر أهمية الذي تشنه القوات الجوية ضد الدفاعات الجوية السورية" منذ حرب لبنان في العام ١٩٨٢.

إذا أصبحت إسرائيل أكثر انخراطاً من الناحية العسكرية في الصراع، ما الذي سيعنيه ذلك للحرب السورية - والمنطقة الأوسع؟

من غير المرجح أن يكون صراعا مفتوحا عبر الحدود السورية في مصلحة أي من إسرائيل أو القوات المتحالفة مع إيران في الوقت الراهن. لكن القتال بالفعل ورد الفعل يظهر أن كلا الجانبين غير راغبَين في التراجع. وفي حال تصاعد الصراع، فإنه ربما ينتهي إلى إضافة زاوية خطيرة إلى الصراع السورية الجاري - والتي يمكن أن تؤدي إلى توريط قوى أخرى في المنطقة وما وراءها.

لا تقتصر قاعدة "تي-٤" العسكرية التي قصفتها إسرائيل يوم السبت على إيواء الجنود السوريين، وإنما تؤوي ضباطاً عسكريين روساً أيضاً. وقال بعض المراقبين الإسرائيليين إن من الصعب تصور ألا يكون الروس قد علموا بأمر الطائرة المسيَّرة الإيرانية أو بإطلاق نيران الدفاعات الجوية الذي أعقب ذلك. ومن الغريب يكون نتنياهو قد زار موسكو، الشهر الماضي، لحث روسيا على كبح جماح حلفائها الإيرانيين في سورية.

كانت الولايات المتحدة، حليف إسرائيل الرئيسي، منخرطة مسبقاً في الصراع السوري؛ حيث تدعم الثوار السوريين، وقد وجدت نفسها في بعض الأحيان على مسار تصادمي مع روسيا. وفي الأسبوع الماضي، قامت طائرات حربية أميركية بقصف قوات موالية للحكومة السورية بعد مزاعم بأنها تقدمت في اتجاه قوات تدعمها الولايات المتحدة في محافظة دير الزور السورية الشرقية. وقال وزير الدفاع، جيم ماتيس، إن من غير الواضح ما إذا كان المتعاقدون الروس من بين أولئك الذين تورطوا في ذلك التقدم.

تمتلك القوات المدعومة من أميركا أو روسيا عدواً مشتركاً يتمثل في تنظيم "داعش"، ولكن في حين يتراجع القتال ضد هذه القوات، فإن صراعات جديدة تظهر في سورية على ما يبدو. وعلى سبيل المثال، أطلقت تركيا مؤخراً هجومها الخاص ضد المقاتلين الأكراد في شمال سورية، واضعة نفسها في تعارض فعلي بحكم الأمر الواقع مع الولايات المتحدة، التي تحالفت مع بعض القوات الكردية من أجل هزيمة قوات "داعش".

سوف يكون من شأن صراع مفتوح بين إسرائيل والقوى التي تدعمها إيران أن يضيف إلى التشابك والفوضى السائدين في سورية. كما أنه ينطوي على خطر جرّ لبنان المجاور ودول عربية أخرى إلى حرب جديدة أيضاً.

عن "واشنطن بوست"

"البريكسيت": تعثر ومخاوف من الفوضى

بقلم: إيما روس توماس ونيكولاس كريسولوراس وتيم روس*

تعطلت مفاوضات الخروج البريطاني من الاتحاد الأوروبي «بريكسيت»، يوم الجمعة الماضي، حين أثار كبير المفاوضين عن الاتحاد الأوروبي احتمال أن يدفع خروج المملكة المتحدة العام المقبل، التكتل نحو حالة من الفراغ القانوني. وأثارت تعليقات ميشل بارنييه ردود فعل غاضبة في لندن، وانخفض الجنية الإسترليني بسببها. وأعلن بارنييه أنه ينتظر سماع ما تريد بريطانيا تحقيقه من المفاوضات، وحذر من تفويت فرص التوصل إلى صفقة إذا واصلت بريطانيا عدم موافقتها على شروط فترة الانتقال، ومدتها عامان. وصرح للصحفيين في بروكسل بأنه إذا استمر الخلاف، فليس من المؤكد أن يجري العمل بالفترة الانتقالية التي تحتاجها الأنشطة الاقتصادية بشكل عاجل. ورد نظيره البريطاني ديفيد ديفيس، الوزير المكلف ملف الانفصال عن التكتل، قائلاً إنه مندهش من تصريحات بارنييه، واتهم الاتحاد الأوروبي بـ«التناقض الجوهري» في تعامله مع المحادثات.

وضيق الوقت هو سبب حساسية الخلاف. فلم يعد لدى المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي إلا شهر واحد فقط للتوصل إلى اتفاق بشأن شروط الفترة الانتقالية التي من المقرر تنفيذها بعد الخروج البريطاني في آذار ٢٠١٩. ودون التوصل إلى اتفاق، لا يمكن مضي المفاوضات قدماً نحو مناقشة هيكل الشراكة التجارية في المستقبل بين بريطانيا والتكتل. وقد صرح بارنييه قائلاً إن التوصل إلى اتفاق بشأن «الفترة الانتقالية ليس أمراً مسلّماً به اليوم». ولكنه أيضاً عبّر عن أمله في حسم الخلافات في الجولة التالية من المفاوضات. ونبه بارنييه إلى أن «الوقت ضيق وضيق للغاية. وليست لدينا دقيقة لنضيعها إذا أردنا النجاح». والفترة الانتقالية حاسمة للنشاط الاقتصادي، لأنه من شبه المؤكد ألا يكون الجانبان قد توصلا إلى صفقة تجارية للمستقبل في اليوم الذي تغادر فيه بريطانيا التكتل، وحينها قد تجد الأنشطة الاقتصادية على الجانبين نفسها في حالة من الفراغ القانوني والتنظيمي في آذار من العام المقبل. وهذا يعني فرض رسوم على البضائع، وفي أسوأ الحالات، تعطيل نقل البيانات والرحلات الجوية، وإمدادات الغذاء.

وقد حدد الاتحاد الأوروبي موعداً نهائياً هو نهاية آذار المقبل للتوصل إلى صفقة قبل تفعيل خططه للطوارئ التي تخرج بموجبها الوظائف والأنشطة الاقتصادية من المملكة المتحدة. وبينما اتخذت بعض البنوك بالفعل خطوات لحماية أنشطتها دون تعويل على التوصل إلى صفقة انتقالية، إلا أنها ما زالت أيضاً تأمل في أن لديها وقتاً كافياً لإعادة كتابة التعاقدات والاستعداد للمستقبل. وقد ذكر مسؤول بريطاني بارز أنه ليس من المؤكد أن يستطيع بارنييه حشد دعم كل دول الاتحاد الأوروبي، لأن الأنشطة الاقتصادية الأوروبية تريد أيضاً التوصل إلى صفقة انتقالية. وأشار المسؤول كذلك إلى أن تسوية مالية بقيمة ٣٩ مليار جنيه إسترليني لن تعرض على الطاولة دون التوصل إلى اتفاق. ويرى المسؤول أن الاتحاد الأوروبي يتشدد الآن ولكنه سيذعن في نهاية المطاف.

وكان من المتوقع في بداية الأمر أن تقبل بريطانيا شروط الاتحاد الأوروبي إجمالاً، ولكن اتهامات بأن الاتفاق يجعل من بريطانيا «دولة تابعة» لبروكسل، جعلت رئيسة الوزراء البريطانية تريزا ماي ترفع سلسلة من الاعتراضات. ويَبقى اتفاق الفترة الانتقالية على إمكانية الدخول إلى السوق الموحدة، ويُلزم بريطانيا بكل القوانين دون أن يكون لها رأي في صنعها ودون حق في التصويت. وبريطانيا لا تريد قبول قوانين جديدة تُفرض في الفترة الانتقالية في غمرة مخاوف من فرض التكتل الأوروبي قوانين تضر بالمصالح البريطانية.

وقد تشدد الاتحاد الأوروبي أيضاً في موقفه وهدد بأن يمنع، من جانب واحد، المملكة المتحدة من الاستفادة من السوق الموحدة إذا انتهكت القوانين أثناء الفترة الانتقالية. وأشار بارنييه إلى أن الاتحاد الأوروبي يدافع عن سلامة السوق الموحدة. وأثار الجانبان أيضاً احتمال عدم القدرة على عرض اتفاق الفترة الانتقالية على البرلمانيين البريطاني والأوروبي في الموعد الزمني المستهدف، وهو تشرين الأول المقبل حتى تتم الموافقة على تحديد يوم الخروج في آذار ٢٠١٩. ويرى ديفيس أن نهاية العام الجاري ربما تكون موعداً أكثر واقعية، بينما أشار بارنييه يوم الجمعة الماضي إلى شهر تشرين الثاني باعتباره موعداً أكثر واقعية.

ولم تقدم بريطانيا للاتحاد الأوروبي يوم الجمعة تعديلات على العلاقة في المستقبل كما كان معتزماً. وأشار بارنييه إلى أن هذا بسبب المسائل المتعلقة بالجدول الزمني، ولكنه أضاف أنه ينتظر من بريطانيا توضيح خياراتها أكثر. ولم تقرر ماي بعد نوعية اتفاق التجارة في المستقبل الذي تسعى إليه. وأعلن ديفيس أنه «في ظل العمل المكثف الذي جرى هذا الأسبوع، فمن المفاجئ أن نسمع أن ميشل بارنييه ليست لديه رؤية واضحة عن الموقف البريطاني فيما يتعلق بفترة التنفيذ». وأضاف ديفيس أنه يسعى إلى علاقة جديدة بين التكتل وبريطانيا باعتبارهما «أقرب الأصدقاء والحلفاء».

عن "واشنطن بوست"

---

* صحافيون أميركيون.

سورية بعد سبعة أعوام من الحرب الطاحنة

بقلم: ديفيد جاردنر

يتواصل القتل في سورية، بعد سبع سنوات من صراع سياسي وعرقي وطائفي، محلي وخارجي، بشكل وحشي. مع ذلك، تبدأ أضواء الاهتمام العالمي الخافتة بالابتعاد عن هذه الحرب، التي يعتبر البعض أنها قد انتهت.

لم تنته الحرب بعد، لكن فيما لو انتهت، هل من الممكن تحديد المنتصرين من بين هذا العدد الكبير من الخاسرين؟

أولا، الخاسرون، وأغلبيتهم من الشعب السوري، يعانون على نطاق واسع ليس له مثيل في التاريخ الحديث. حيث إن التقدير واسع الانتشار لمقتل ما يقارب نصف مليون شخص ربما يتحول ليصبح رقما أدنى بكثير من الرقم الحقيقي. تشرد نحو نصف عدد السكان ما قبل الحرب الذي كان يبلغ ٢٣ مليون نسمة، أكثر من ١١ مليون شخص، وطرد نحو نصف هؤلاء الأشخاص إلى خارج البلاد.

ومع ذلك لا تزال أعداد القتلى والمشردين آخذة في الارتفاع، بينما يواصل نظام بشار الأسد قصف المستشفيات والأسواق في إدلب في الشمال الغربي، أو استخدام غاز الكلور ضد جيوب مقاومة في الغوطة الشرقية، بالقرب من دمشق.

من الواضح أيضا أن الثوار هم الخاسرون. الانتفاضة المدنية التي بدأت قبل سبع سنوات، تحولت بشكل سريع لتصبح حركة تمرد بمجرد أن قرر نظام الأسد الديكتاتوري إغراق البلاد في الدم.

وهي حركة ظهرت على نطاق واسع في البداية، عملت على جذب معظم أطياف المجتمع السوري متعدد الأديان، ومن ثم تحولت لتصبح مواجهة طائفية، خاصة بعد أن لوح نظام الأسد باستخدام العنف الطائفي لتحفيز نظام الأقلية.

خسر الثوار الرئيسيون مع مرور الوقت المعركة لصالح المتشددين. وقد ساعدت الولايات المتحدة والأوروبيون عن غير قصد على هذا التحول، من خلال التحريض على الانتفاضة، لكنهم امتنعوا عن تقديم الدعم نوعا ما للجماعات الأكثر أو أقل اعتدالا من أجل الإطاحة بنظام الأسد.استعان الغرب إلى حد كبير بالجوار لتقديم الدعم للثوار، ما ترك فراغا عمل على ملئه فصيلا "داعش" و"القاعدة" وغيرهما من التنظيمات المتشددة لأخرى.

دولة الأسد، التي تفتقر إلى القوى البشرية والمال وتعرضت لما لا يقل عن ثلاث حالات من الانهيار، تم إنقاذها من قبل القوات الجوية الروسية، والقوات الأرضية التي تم تقديم معظمها من قبل إيران وميليشيات شيعية من كل مكان، وأدوات عميلة لها وعلى رأسهم جماعة "حزب الله".

وعلى الرغم من أنه يبدو وكأن الرئيس الأسد هو المنتصر، إلا أنه لا يزال تحت وصاية قوتين - روسيا وإيران - فهو يترأس دولة محاصرة موزعة ما بين العصابات شبه العسكرية والجيوش الخاصة. كما أن قوته أكثر محدودية مما تبدو عليه، حتى وإن هزمت "داعش" إقليميا.

المنتصر الظاهري في هذه الفوضى والتشرذم هم الأقلية الكردية في سورية، التي استولت قوات الحماية الشعبية التابعة لهم على ربع البلاد، في ظل دعم أميركي مباشر من جهة، وغير مباشر من جهة أخرى، بمقاتلة "داعش" وغيرها من التنظيمات المتشددة.

أثناء القتال في ظل الدعم المقدم من القوات الجوية الأميركية باعتبارها رأس حربة ضد "داعش"، حازت قوات الحماية الشعبية على اهتمام العالم.

على أنها ربما تكون قد بالغت في ذلك. غزت تركيا عفرين، الجزء الغربي من إقليم القوات، لإحباط طموح الأكراد في بناء منطقة تتمتع بالحكم الذاتي في شمال سورية، الأمر الذي تخشى من أنه سيشعل التمرد الكردي في جنوب شرقي تركيا.

ربما يبالغ الأكراد السوريون أيضا في درجة الدعم الذي سوف تقدمه إدارة الرئيس الأمريكي الشاردة لتلك الطموحات.

الحقيقة التي ينبغي عليهم إدراكها، قبل فوات الأوان، هي أن الولايات المتحدة تفتقر إلى وجود سياسة متماسكة إزاء سورية، ومنذ النتيجة الكارثية لغزو العراق في العام ٢٠٠٣، خسرت معظم القدرة التي تمتلكها على تشكيل الأحداث في الشرق الأوسط.

تركيا، أيضا، على الرغم من كل ما يمتلكه رئيسها رجب طيب أردوغان من قدرة على التدخل في سورية، لا يمكن احتسابها من المنتصرين.

إن هدفه الأصلي، الإطاحة بنظام الأسد وتثبيت قائد بديل، قد تمت عرقلته. في سعيه لتحقيق ذلك الهدف، قامت أنقرة بتحويل تركيا إلى منشأة للمتطوعين الثوار، الأمر الذي سمح لجماعات من المتشددين كذلك، بأن تضرب بجذورها في الأرض.

التدخل التركي في شمال غربي سورية هو بمنزلة نعمة لصالح فلاديمير بوتين، حيث إن روسيا تسيطر على تلك المنطقة الجوية.

استخدم الرئيس الروسي سورية كنقطة انطلاق لعودة روسيا كقوة عالمية، بمساعدة غير مباشرة من بطء الانسحاب المشوش للولايات المتحدة المتراجعة. في حين أن ذلك يعتبر انتصارا له، إلا أن طموحات روسيا في سورية لا تكاد تعتبر طموحات مشرقة.

الأسبوع الماضي، قامت قوات مرتبطة بتنظيم القاعدة في إدلب بإسقاط طائرة حربية روسية. على الأرض، يتعين على روسيا الاعتماد على قوات الحرس الثوري الإيراني، و"حزب الله" وميليشيات الشيعة الأفغانية والعراقية المدعومة من إيران.

قبل أكثر قليلا من أسبوع، استضافت روسيا قمة سورية في سوتشي، لكنها لم تحرز أي تقدم في تصميم عملية انتقال للخروج من الحرب، التي من دونها، من الصعب أن نرى كيف يمكن إعادة بناء سورية، ماديا أو سياسيا.

يرفض الاتحاد الأوروبي الالتزام بإعادة الإعمار من دون تسوية سياسية واتفاق حول مستقبل نظام الأسد.

إيران، مع استراتيجيتها الواضحة لتمتين المحور الشيعي - الفارسي في العراق وسورية وصولا إلى لبنان والبحر الأبيض المتوسط، تبدو كأنها أرجح المنتصرين.

من خلال حرسها الثوري، المتنفذ داخل البلاد والقوة الأولى في الخارج، عملت على إضفاء الصفة العسكرية على المنطقة لصالحها.

مع ذلك، لقد فقدت فرصة جعل الدول المجاورة لها تشعر بالراحة بعد ظهورها كقوة إقليمية طائفية توسعية، ما استقطب المعسكر الخليجي ضدها، وتزويده الجوار كله، بذريعة جاهزة لرفض سياسات طهران.

بصرف النظر عن الطريقة التي ننظر بها إلى الأمور، من الصعب أن نرى أي فائز في هذا الكابوس الجهنمي الذي يقوده نظام الأسد في سورية، في ظل كل تلك البرك العميقة من اليأس والتشرد التي تعم البلاد والعباد، وهو ما يتيح فرصا لا تقدر بثمن لكل تجار الحرب، من كل حدب وصوب، للاصطياد بغزارة فيها.

عن "فاينانشيال تايمز"